مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية

الدكتور صالح احمد العلي

من الحقائق التي تصل الى مستوى البديهيات ان المدن هي المراكز الرئيسة التي تزدهر فيها الحضارة وتتعقد فيها النظم وتنمو فيها الحركة الفكرية ، وتتوفر فيها بصورة خاصة الوثائق المكتوبة عن نشاط الانسان الاجتماعي الذي هو موضوع دراسة التاريخ ، وقد ادى هذا الى ان يكون التاريخ المألوف عندنا هو في الحقيقة تاريخ المدن ووصف فعاليات اهلها بالدرجة الاولى ، واننا عندما نتحدث عن التقدم العلمي العظيم في العصر العباسي فنحن نقصد ما كان في المدن ، دون الريف او الصحارى التي كانت تغط في غياهب الجهل . فدراسة تكوين المدن وتطورها يمكننا من التعمق في تفاصيل التنظيم الاجتماعي والاداري والجوانب الاخرى من نشاط الانسان ، ويقدم لنا اساساً ادق واوضح في معرفة الاحداث التاريخية .

ولعل الخطوة الاولى لتفهم تنظيم اية مدينة والحياة فيها هو دراسة خططها ، لان هذه الدراسة لها اهمية كبرى في اشباع غريزة حب الاستطلاع وتوفير اللذة التي تنبعث من الكشف عن المجهول وتوسيع افق المعرفة وخاصة لمن يقيم في تلك المدينة او يهتم بها ، غير ان اهميتها تمتد الى ابعد من ذلك ، فهي تقدم مادة اساسية لمن يريد دراسة توزيع

السكان واحوالهم البشرية والاجتماعية والاقتصادية، وتوضح بعض ما يؤثر في العلاقات بينهم، وتفسر بعض عوامل ظهور التنظيمات الادارية كما تقدم تفسيرات لكثير من الحوادث السياسية والوقائع العسكرية.

غير أن دراسة خطط المدن ليست سهلة او يسيرة، لان مناطق السكنى والبيوت تتبدل بتغير الازمان والاحوال، بل حتى العوارض الطبيعية معرضة لمثل هذا التبدل، حيث ان الانهار والقنوات والترع قد تبدل مجاريها، وقد تختفي التلول والمرتفعات او قد تتكون على مر الايام في المدن تلول من تكدس الانقاض. ثم ان التكوين الاجتماعي والاقتصادي لاية مدينة يتبدل بمرور الزمن، ويرافقه تبدل الخطط. ويلاحظ ان الحفريات الاثرية بالرغم من فائدتها القصوى في تعيين مجاري الترع والانهار، وتبيين امتداد الشوارع، وتوضيح اتساع المدن، الا انه لا يزال الاعتماد الاول في معرفة اسماء الخطط على المصادر الادبية التي كثيراً ما تستعمل تعبيرات غير محددة، كالشارع والطريق والدرب، فضلا عن انها كثيراً ماتذكر اماكن دون تحديد سعتها او حجمها، هذا بالاضافة الى ان هذه المصادر الادبية وخاصة المتأخرة منها، قلما تعين تاريخ ظهور او اختفاء اية خطة. ولما كانت المدن معرضة للتطور والتبدل تبعاً لتبدل الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فان الباحث الحصيف لا بد له من الحذر والتدقيق عند دراسة هذه المصادر الادبية.

ولدراسة خطط بغداد اهمية خاصة في فهم الحضارة الاسلامية، نظراً لكونها ظلت عاصمة الدولة العباسية وكانت خلالها موئل الحركة الفكرية، ومقصد العلماء والادباء والمفكرين، ومركز الحياة الاقتصادية، وقد عبر اليعقوبي عن ذلك اوضح تعبير بقوله إن اهل بغداد «فضلوا الناس في العلم والفهم والادب والنظر والتمييز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق بكل مناظرة، واحكام كل مهنة، واتقان كل صناعة، فليس عالم اعلم من عالمهم ولا اروى من راويتهم ولا اجدل من متكلمهم، ولا اعرب من نحويهم، ولا اصح من قارئهم، ولا امهر من متطببهم، ولا احذق من مغنيهم، ولا الطف من صانعهم،

ولا اكتب من كاتبهم ، ولا ابين من منطيقهم ، ولا اعبد من عابدهم ، ولا اورع من زاهدهم ، ولا افقه من حاكمهم ، ولا اخطب من خطيبهم ، ولا اشعر من شاعرهم ، ولا افتك من ماجنهم » (البلدان ٢٣٥) .

ومن ابرز خصائص بغداد تنوع سكانها وتعدد اصولهم ، وهنا ننقل عن اليعقوبي قوله عن بغداد انها « المدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها سعة وكبراً وعمارة وكثرة مياه وصحة هواء ، ولانه سكنها من اصناف الناس واهل الامصار والكور ، وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، وآثرها جميع اهل الافاق على اوطانهم ، فليس من اهل بلد إلا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرف ، فاجتمع بها ما ليس في مدينة فى الدنيا ، ثم يجري في حافتيها النهران الاعظمان دجلة والفرات ، فيأتيها التجارات والمير براً وبحراً بايسر السعي حتى تكامل بها كل متجر يحمل من المشرق والمغرب من ارض الاسلام وغير ارض الاسلام ، فانه يحمل اليها من الهند والسند والصين والتبت والترك والديلم والخزر والحبشة وسائر البلدان ، حتى يكون بها من تجارات البلدان اكثر مما في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها ويكون مع ذلك أوجد وامكن » (البلدان ٢٣٣ ـ ٤) .

ومن المعلوم ان بغداد منشأة في ارض سهلة مستوية تقل فيها العوارض الطبيعية ويتعرض مجرى دجلة والقنوات الاخرى فيها إلى تبدلات كثيرة ، ثم ان بغداد مرت بتطورات سياسية واقتصادية واجتماعية خطيرة كان لها اثر في تبدل احوالها وتغير اوضاعها ، وقد ظهرت اثار هذه التطورات منذ وقت مبكر حتى ان اليعقوبي بعد أن وصف خطط بغداد فى عهد المنصور عقب على ذلك بقوله « وقد تغيرت ومات المتقدمون من اصحابها ، وملكها قوم بعد قوم ، وجيل بعد جيل ، وزادت عمارة بعض المواضع ، وملك قوم ديار قوم ، وانتقل الوجوه والجلة والقواد واهل النباهة من سائر الناس مع المعتصم الى سر من رأى في سنة ثلاث وعشرين ومائتين » (ص ٢٥٤) فاذا كان مثل هذا التطور قد حدث

في اول قرن مضى على تأسيسها ، فان تطورات وتبدلات اوسع حدثت في القرون التالية التي مرت بغداد فيها .

فاذا كانت لدراسة خطط بغداد اهمية كبيرة ، فان على الباحث الاهتمام بالتطور التاريخي لهذه الخطط ، وتحديد اماكنها وخططها في زمن معين ، لان الخطط تتطور ، فتتسع او تضيق ، او تتبدل فيها مواضع الاسواق ، ومراكز اللهو او السكنى ؛ فلا بد لهذه الدراسة من تحديد زمن المصدر او الكتاب الذي يصف خطط المدينة ، وبيان ان وصف الخطط في ذلك المصدر ينطبق على زمن المؤلف ، وتمييز ذلك عما نقله ممن سبقه . فاذا كانت وفرة مادة المصدر او الكتاب مهمة ، فان معرفة الزمن الذي ينطبق عليه هذا الوصف لا يقل اهمية عن ذلك ؛ ولهذا الامر اهمية بالغة في دراسة خطط بغداد ، التي مرت بادوار من التوسع والتقلص بالرغم من اهميتها الكبرى . وجدير بنا ان نشير قبل بحث مصادر دراسة خطط بغداد ، الى ان المؤلفين العرب والمسلمين اهتموا بدراسة المدن واحوالها واكثروا من التأليف فيها ، حتى انك قلما تجد مدينة في العالم الاسلامي لم يؤلف فيها كتاب او اكثر ، ولا ريب ان بحث اسماء المؤلفات في المدن الاسلامية خارج عن الصدد ، ويمكن لمحب الاستزادة الرجوع الى ما ذكره السخاوي في « الاعلان بالتوبيخ » او الى بحث روزنثال فى « علم التاريخ عند المسلمين » ؛ ولكننا نكتفي بالاشارة هنا الى ان المؤلفين الاولين في المدن اهتموا بوصف خطط المدن التي يبحثونها ، وسكانها ، واحوالها البشرية والاجتماعية ، واوضاعها الادارية والاقتصادية ، اما المتأخرون فقد اهتموا بذكر اسماء او تراجم العلماء الذين ظهروا اوعاشوا او مروا بالمدينة التي يبحثونها كما ان حظ المدن الاسلامية من التأليف لم يكن واحداً ولا متناسباً دائماً مع اهمية المدينة فقد الفت عدة كتب عن بعض مدن قليلة الاهمية ، ولم يؤلف الا كتب قليلة جداً عن بعض المدن المهمة .

ان المؤلفات التي كتبت عن بغداد لا تتناسب مع اهميتها العظيمة في تاريخ الحضارة الاسلامية

فابن النديم الذي الف كتابه العظيم « الفهرست » في سنة ٣٧٨ واستوعب فيه كل المؤلفات العربية تقريباً ، لم يذكر عن بغداد الا ثلاثة كتب هي بغداد واخبارها لاحمد بن الطيب السرخسي (ص ٣٦٦) وفضائل بغداد وصفتها ليزدجرد بن مهمندار (ص ١٨٥) وكتاب بغداد لطيفور وما زاده عليه عبد الله (ص ٢٠٩ ـ ٢١٠) . اما السخاوي فانه في كتابه « الاعلان بالتوبيخ » الذي استعرض فيه المؤلفات العربية في التاريخ حتى عصره فانه يذكر ان المؤلفات عن « بغداد لاحمد بن ابي طاهر ، ولابن اسفنديار ، وللخطيب ابي بكر وهو اوسعها في عشر مجلدات وعليه معول من بعده ، وذيوله لابي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني .. الخ » (س ٦٢٢ ط روزنثال) اما حاجي خليفة فيذكر « قيل اول من صنف لها تاريخاً احمد بن ابي طاهر البغدادي ، وتلاه الامام الحافظ ابو بكر احمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ » ثم يصف كتاب الخطيب ويذكر ما الف عليه من ذيول تكون قائمة لا تضيف الى ما اورده السخاوي ، مما يدل على اقتباسه من السخاوي غير انه يضيف الى آخر القائمة « ومختصر تاريخ بغداد لابي اليمن مسعود بن محمد البخاري المتوفى سنة ٤٦١ ؛ وصنف ابو سهل يزدجرد بن مهنداد الكسروي كتاباً حسناً في وصف بغداد وعدد سككها وحماماتها وما يحتاج اليه في كل يوم من الاقوات والاموال ذكره الصفدي . وفي اخباره كتاب التبيان لاحمد بن محمد بن خالد البرقي الكاتب » (كشف الظنون ١/٢٨٨) .

يتبين مما ذكر ان ابرز المؤلفين المسلمين في تاريخ التاريخ عند المسلمين يرون ان احمد ابن ابي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ هو اقدم من الف في تاريخ بغداد وقد وصف القفطي اهمية هذا الكتاب بقوله « واذا اردت التاريخ متصلا جميلا فعليك بكتاب ابي جعفر الطبري رضي الله عنه فانه من اول العالم الى سنة ٣٠٩ ومتى شئت ان تقرن به كتاب احمد بن طاهر وولده عبيد فنعم ما تفعل لانهما قد بالغا في ذكر الدولة العباسية واتيا من شرح الاحوال بما لم يأت به الطبري بمفرده ، وهما في الانتهاء قريبا المدة » (اخبار الحكماء ص ١١٠) .

لقد بقيت من كتاب طيفور قطعة تتناول الاحداث في زمن المأمون بين سنتي ٢٠٤ ـ ٢١٨ هـ ، طبعها كيللر مع مقدمة تحليلية في تبيان اهمية معلوماتها ومقارنة هذه المعلومات بما ذكره الطبري الذي لم يشر الى طيفور . وقد اعاد طبع هذه القطعة السيد عزت العطار الحسني سنة ١٩٤٩ . وتبين هذه القطعة المطبوعة ان المؤلف دون الحوادث السياسية . وقد اورد روزنثال في كتابه « علم التاريخ عند المسلمين » من نقل عنه ؛ ويتبين منها ان معظم النقول تتناول الحوادث السياسية .

ويبدو ان طيفور ضمن كتابه وصفاً لخطط بغداد ، لأن الحميدي يذكر ان احمد بن محمد ابن موسى الرازي « الف في صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها ، كتاباً على نحو ما بدأ به احمد بن ابي طاهر في اخبار بغداد وذكره لمنازل صحابة المنصور بها » (جذوة المقتبس ص ٩٧ طبعة محمد بن تاويت) غير ان المؤرخين المتأخرين لم يعنوا بذكر ما نقلوه عن احمد بن ابي طاهر ، فياقوت لم ينقل عنه الا في اربعة مواضع لا علاقة لها بالخطط ، اما الخطيب فقد نقل عنه في القسم الخاص بالخطط من الجزء الاول ، خمسة نصوص (٨٤/١ ، ٨٨ ، ١١٧ ، ١٢٠) منها روايتان غير مسندتين (١١٧/١) اما الثلاث الباقية فقد رواها عن طريق محمد بن علي بن مخلد (٨٨ ، ١٢٠) وعن طريق محمد بن خلف عن محمد بن موسى بن الفرات . وهذه الروايات عن مربعة ابي العباس وعن بادوريا ، وعن مساحة بغداد ، وذرع بغداد ، وحماماتها . ولعل هذه الكتب وغيرها نقلت عن طيفور نصوصاً اخرى دون ان تشير الى مصدرها .

اما احمد بن الطيب السرخسي (ت ٢٨٦ هـ) فهو تلميذ الكندي وقد الف عدداً كبيراً من الكتب جمع روزنثال الاشارات اليها والنقول عنها في كتاب الفه عن السرخسي ونشره في نيوهافن سنة ١٩٤٣ ؛ وقد ذكر اشارات ابن النديم ، وابن القفطي ، وحاجي خليفة الى كتاب السرخسي غير اننا لا نعلم احداً غير ابن الفقيه نقل عنه شيئاً عن خطط بغداد .

اما يزدجرد بن مهمندار فقد ذكر كتابه ابن النديم وحاجي خليفة ونقل عنه التنوخي

في نشوار المحاضرة (١/٦٤ ـ ٦٥) كما نقل عنه ياقوت في معجمه في موضعين (١/٤٤٨ ، ٤/٤٤٥ـ٦) وقد جمع السيد ميخائيل عواد النصوص التي نقلاها عنه في بحث نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (المجلد ١٩ سنة ١٩٤٤) ثم اعاد طبع البحث مرتين . وتشمل هذه النصوص كلاماً عن المدائن ، وعن بابل ، وعن حمامات بغداد ، واذا كانت النصوص المتعلقة بحمامات بغداد مأخوذة عن كتابه « فضائل بغداد » فاننا لا نستطيع الجزم في اسم كتابه الذي نقلت منه نصوص المدائن وبابل .

اما كتاب التبيان لاحمد بن خالد البرقي الكاتب الذي ذكره حاجي خليفة من ضمن الكتب التي تتحدث عن بغداد (كشف الظنون ١/٢٨٨) وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب هذا الكتاب ضمن كتب التاريخ التي اعتمد عليها (١ / ١٩ طبعةباريس) دون ان يشير الى محتواه . وقد فقد هذا الكتاب ولم نعثر على نص منقول منه ، ولانعلم اذا كان كتاباً قائماً بذاته ام هو نفس كتاب « البلدان والمساحة » كما يبدو لاغابزرك (انظر الذريعة ج ٢ ص ١١٥ ، ٢٢٦) وما اذا كان قد تناول بحث خطط بغداد.

لقد اشارت كتب التاريخ والتراجم الى بعض خطط بغداد في معرض الكلام عن الاحداث السياسية او من تراجم بعض الاشخاص حيث يذكر مكان اقامة المترجم له او دفنه في بغداد ، كما يشيرون الى الحرائق والتخريبات او الاماكن التي حدثت فيها بعض الاحداث التي دونوها ؛ ولهذه المعلومات اهمية غير قليلة حيث انها تعين على تحديد زمن وجود المكان واهميته احياناً ، غير أن الاغلبية المطلقة لهذه المعلومات هي اشارات عابرة لخطط تذكر عادة منفردة ، اللهم الا ما يرد في وصف الحروب واحوال الحصار من ذكر عدة اماكن وايراد معلومات عن مواقعها . ولما كانت هذه المعلومات مشتتة مبعثرة فاننا لا نتطرق الى تقييمها او حصرها ، بل نكتفي بالاشارة الى اهميتها لمن اراد استكمال البحث اما هنا فاننا نقصر بحثنا على عرض المؤلفات التي اختصت كلها او فصول منها لخطط بغداد .

ان اغلب المؤلفين العرب الذين كتبوا في التاريخ العام لم يخصوا موضوع بناء بغداد وتوسعها وخططها بتفاصيل وافية . فالبلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ لم يذكر شيئاً عن بناء بغداد في الفصل الذي كتبه عن المنصور في انساب الاشراف ، اما في فتوح البلدان ، فقد خص مدينة السلام بفصل تبلغ صفحاته ستاً فقط اورد فيه معلومات قيمة ، ولكنها لا تقارن بتفاصيلها وشمولها بما اورده عن الكوفة او البصرة ، هذا بالرغم من ان كتابه مزيج من التاريخ والجغرافية ، ولعل البلاذري كان يشعر ان بغداد خارجة عن نطاق بحثه المحدد بالاماكن المفتوحة والتي لها اهمية عسكرية . ولم يخص خليفة بن خياط بغداد بشيء في كتابه التاريخ الذي يؤمل طبعه قريباً .

اما اليعقوبي الذي سنتحدث فيما بعد عن الفصل القيم الذي كتبه في كتابه البلدان ، فانه لم يخص في تاريخه بناء بغداد باكثر من ثمانية اسطر اجمل فيه اهمية موقع بغداد ، وعدد ابوابها ، وسورها ، وقطائعها (ج ٢ ص ٤٤٩ _ ٥٠) .

اما المسعودي فانه خص في كتابه « التنبيه والاشراف » بغداد ببضعة اسطر تحدث فيها عن اشتقاق كلمة بغداد ، وزمن بناء المدينة ، وعن الرصافة ، وكل ذلك في معرض كلامه عن الامصار (ص ٣١٢) .

واقتصر كتاب مروج الذهب على نقل حكاية عن ابن عياش المنتوف ، وذكر معها عرضاً أبواب المدينة وطاقاتها وبقاءها الى زمنه (ج ٣ ص ٢٩٩) غير انه ذكر « وقد أتينا على كيفية بناء هذه المدينة ، واختيار المنصور لهذه البقعة بين دجلة والفرات ، ودجيل والصراة ، وهذه أنهار تأخذ من الفرات ، وأخبار بغداد ، وعلة تسميها بهذا الاسم ، وما قاله الناس من ذلك ، وخبر القبة الخضراء وسقوطها في هذا العصر ، وقصة قبة الحجاج الخضراء التي كان الحجاج بناها بواسط العراق وبقاؤها الى هذا الوقت وهو سنة ٣٣٢ في كتابنا الأوسط الذي كتابنا هذا تالٍ له » (٣/٢٩٩) ومن سوء الحظ ان الكتاب الأوسط مفقود ، غير انه اذا كانت هذه هي كل المواضع التي بحثها ، فان بحثه لا يكون

شاملاً لكل خطط بغداد .

ومن الغريب أن يهمل هؤلاء المؤرخون دراسة بغداد على عظمها وأهميتها ، في هذا العصر المبكر الذي اهتم فيه المؤلفون بدراسة خطط المدن كالذي فعله الأزرقي في أخبار مكة ، وابن زباله ، ويحي بن الحسن ، والزبير بن بكار في خطط المدينة ، وابن يونس ، وابن زولاق والكندي في خطط القاهرة .

وقد خص معظم الجغرافيين العرب بغداد ببحوثهم ، فذكروا وصفها ، وخاصة في زمنهم . وهذا ما فعله ابن جبير وابن بطوطة في رحلاتهم ، وابن رسته .

تعد الفصول التي اوردها اليعقوبي في البلدان وابن سيرابيون في كتاب عجائب الأقاليم وابن الفقيه في كتاب البلدان والطبري في تاريخه والخطيب في تاريخ بغداد والمواد المشتتة في معجم البلدان والتي لخصها وأضاف اليها مؤلف مراصد الاطلاع من أغنى الفصول التي وصلت الينا عن خطط بغداد وسنقتصر في هذه الدراسة على دراسة ما جاء في المصادر الخمسة الأولى مرجئين دراسة ما ورد في معجم البلدان ومراصد الاطلاع الى مقال آخر .

خص اليعقوبي خطط بغداد بعشرين صحيفة تلت مقدمة كتابه « البلدان » ، وقد تقصد البدء بدراسة بغداد وتفصيل أحوالها لان العراق « وسط الدنيا وسرة الأرض » وبغداد « وسط العراق والمدينة العظمى التي ليس لها نظير » (٢٣٤) وبعد أن بين أهمية موقعها ، والمحاولات التي قام بها أبو العباس والمنصور لإيجاد عاصمة لهما حتى استقر رأي الأخير على موقع بغداد ، ثم بحث عن بناء مدينة المنصور ووصف أسوارها وأبوابها ، وعدد سككها ، وأرباع أرباضها ومن اختط فيها ، ثم تكلم عن الشرقية وعن الكرخ وقنواتها ، وعن الجانب الشرقي . وقد حصر اليعقوبي كلامه بوصف المدينة عند بنائها وفي أوائل عهدها ، وكان يعلم أن بعض خطط المدينة قد تبدل ، وقد أشار إلى ذلك عند كلامه عن بعض سكك المدينة المدورة حيث يقول « وسكة تعرف في هذا الوقت بالقواريري قد ذهب عني اسم صاحبها .. وسكة تعرف اليوم بالزيادي وقد ذهب عني اسم صاحبها » (٢٤٠) ؛ ويقول في آخر الفصل الذي كتبه عن بغداد « وهذه القطائع

والشوارع والدروب والسكك التي ذكرتها على ما رسمت في أيام المنصور ووقت ابتدائها ، وقد تغيرت ومات المتقـدمون من أصحابها وملكها قوم بعد قوم ، وجيل بعد جيل ، وزادت عمارة بعض المواضع وملك قوم ديار قوم ، وانتقـل الوجوه والجلة والقواد وأهل النباهة من سائر الناس مع المعتصم إلى سرمن رأى في سنة ثلاث وعشرين ومائتين » .

ان المعلومات التي قدمها اليعقوبي تفوق ما قدمه غيره ، فالسكك التي ذكرها في المدينة المدورة تبلغ اربعين سكة ، في حين أن الخطيب لم يذكر سوى خمس سكك ، وقطائع الأرباض لا تقارن بتفاصيلها بما ذكره الخطيب . لذلك فاننـا نعجز عن تدقيق ما أورده اليعقوبي لانفراده في ذكر معظم المعلومات التي أوردها .

ان الفقرة الأخيرة التي أوردها اليعقوبي تشير صراحة الى أن بحثه قائم على وصف المدينة أيام بنائها ، لا في أيامه ، ومع أنه يؤكد أنها ظلت عامرة حتى زمنه رغم من انتقل عنها بعد انشاء سامراء ، إلا أنه لا يذكر ما عرى خططها من تبدل وتغير ، حتى انه وهو المحقق الذي ظل يجمع مادة كتابه منذ عهد شبابه (ص ٢٢٢) غاب عنه إسم صاحبي سكة القواريري وسكة الزيادي . ويلاحظ انه ألف كتابه وهو بعيد العهد عن بغداد حيث يقول عند كلامه عن سويقة عبد الوهاب « وبلغني ان السويقة أيضاً خربت » (٢٤٢) .

ولا يفوتنا أن نذكر ان كتاب البلدان طبع على نسخة فريدة ناقصـة ، ويظهر نقصها في مقدمتها ، وفي القطع الواضح في الفصل المكتوب عن البصرة ، وفي النصوص غير القليلة المنقولة عن بلدان اليعقوبي في الكتب الأخرى ، هذه النصوص التي جمعها دي غويه وألحقها بالمطبوع ، تعد دليلا واضحاً على نقص الكتاب ، وكان المؤمل ان تكون حافزاً للبحث عن نسخة أكمل من هذا الكتاب العظيم ، ولكن يبدو أن الناس ظلوا يعتمدون على النسخة المطبوعة ولم يحاولوا البحث عن نسخة أكمل ، وهكذا أعيد طبع هذا الكتاب

فى النجف عدة مرات دون أية محاولة لإكمال هذا النقص .

* * *

ومن الفصول القيمة عن خطط بغداد الفصل المنسوب إلى سهراب أو ابن سيرابيون والذي نشره وترجمه لي سترانج ، ثم أعاد نشره مزيك ضمن كتاب عجائب الأقاليم . وفي هذا الفصل تفصيل دقيق عن انهار بغداد أي الترع التي تخترقها ، مع ذكر ما يتشعب منها وما عليها من خطط ، وهو أوسع فصل في موضوعه ، وقد نقله الخطيب البغدادي حرفياً تقريباً بسنده من « عبد الله بن محمد البغدادي بطرابلس عن بعض متقدمي أهل العلم » (١/١١٢) . وقد نقل ياقوت أيضاً هذه المعلومات عن أنهار بغداد ووزعها على حروف الهجاء لتنسجم مع تنظيم كتابه ، دون الاشارة إلى المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات وما إذا كان استمدها من الخطيب أم من سهراب أم من مصدر آخر غيرهما . ان تشابه مادة هذه المصادر الثلاثة تجعل فصل أنهار بغداد خالياً من العيوب التي نجدهـا في وصف سهراب لأنهـار المناطق الأخرى ، وذلك كالعيوب التي لاحظها هرزفيلد عن انهار سامراء وروبرت أدامز عن مجرى دجلة بين المدائن وواسط (انظر ص ١٧٨ من كتاب « ارض وراء بغداد » لروبرت ادامز) وعما نلاحظه من عيوب وخلل في وصف الانهار المتشعبة من دجلة أسفل واسط ، أو مجرى نهر سورا بين بابل والنيل .

* * *

بحث الطبري في كتابه العظيم « تاريخ الأمم والملوك » عن انشاء بغداد في مكانين من القسم الثالث (٢٧٢ ـ ٢٨١/٣٢٠ ـ ٣٢٧) ومجموع كلامه لايزيد على خمسة عشر صحيفة ، تناول في القسم الأول منها اختيار موقع بغداد وخصائصه ، والقرى التي كانت في موضع بغداد قبل إنشائها ، أما في القسم الثاني فتحدث عن بناء بغداد ، ومحاولة نقض إيوان كسرى ، والاشراف على البناء ، ونفقاته ، وعن أبواب المدينة والاسواق ونقلها . ويتبين من هذا ان القسمين متكاملان ، وان فصلهما جرى بسبب تقسيم الكتاب . غير ان هذه المعلومات متقطعة ، غير كاملة ولا شاملة ، ولا يستطيع المرء تكوين صورة واضحة

أو دقيقة للمدينـة منها . ولا نستطيع الجزم بسبب اختياره هذه المادة دون غيرها عن بغداد الأولى . وجدير بالذكر ان المعلومات التي أوردها مذكورة عند ابن الفقيه الهمداني والخطيب البغدادي كما سنبين فيما بعد .

لم يستخدم الطبري فيما رواه عن بغداد سلسلة كاملة من المسانيد ، ولكنه ذكر عدداً من الأخبار دون التصـريح بمصدرها واكتفى بكلمة « وذكر بعضهم » (أنظر ص ٣٢٢/٣٢٣/٣٢٥) كما انه لم يذكر شيوخه في هذه المسانيد . اما الرواة الذين أخذ عنهم مادته فهم متعددون ، وأغلبهم منفردون . وأهمهم :

(١) حماد التركي ، فقد روى عنه نصوصاً عن أهمية موقع بغداد ، وما حولها من القرى ، والاديرة ، وقد روى عنـه ايضاً اخباراً عن المنصور ، يبدو منهـا انه كان من الفرسان (٣/٤٣٠) وانـه كان مقرباً من الخليفة (٣/٣٤٣/٣٩٢) . وقد جاءت معظم روايات حماد عن طريق ابراهيم بن عيسى بن أبي جعفر .

(٢) سليمان بن مجالد وهو من القواد المقربين للمنصور (٣/٤٢٩) وقد روى الطبري عنه أهمية موقع بغداد ، وقصة المقلاص ، وتولية أبي حنيفة الإشراف على البناء . كما روى عنه أخباراً عن ثورة أهل الكرخ .

(٣) يحي بن الحسين بن عبد الخالق وهو خال الفضل بن الربيع ، وقد روى عنه شكوى عيسى بن علي من المشي ، ونقل الأســواق ، وتولية القواد البناء . وقد روى عنه أيضاً اخباراً عن أرزاق الكتاب ، وعن مقتل موسى الهادي ، وعن الرشيد والمأمون .

(٤) وقد روى عن الفضل بن سليمان سبب نقل الاسواق ، وعن ابراهيم الموصلي محاولة هدم إيوان كسرى ، وعن رشيد أبي داود عن احتراق الساج والخشب ، وعن محمد بن موسى بن الفرات عن نهر طابق . كما روى عن كل هؤلاء أخباراً قليلة عن أمور أخرى .

* * *

يصح القول ان اوج ما وصلنا عن تاريخ بغداد هو الكتاب الذي ألفه أبو بكر أحمد ابن علي البغدادي ، فقد وصفه السبكي بأنه « من أجل الكتب وأعودها فائدة » (طبقات

الشافعية ١/١٧٢) ووصفه حاجي خليفــة بأنه « كتاب عظيم الجمع والنفع » (كشف الظنون ١/٢٨٨ وقد ادرك الأقدمون عظمة هذا الـكتاب فقاموا بتلخيصه وتذييله ، فقد ذكر حاجي خليفــة ممن لخصه أبو اليمن مسعود بن محمـد البخاري ، وان من ألف ذيلاً على تاريخ بغـداد أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني صاحب الانساب (ت ٥٦٢ هـ) وأبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي (ت ٦٣٧ هـ) ومحب الدين محمد بن محمود ابن النجار (ت ٦٤٣ هـ) . وقد ذيل على كتاب الســمعاني عماد الدين محمد بن محمد الكات (ت ٥٩٧ هـ) ؛ وعلى كتاب ابن الدبيثي ابن القطيعي ، كما لخص شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨) ذيل ابن الدبيثي ، وذيل على كتاب ابن النجار تقي الدين محمد بن رافع (ت ٦٧٤هـ) وأبي بكر المارستاني الذي ذيل عليه علي بن أنجب بن الساعي (ت ٦٧٤ هـ) . ولم يطبع من هـذه الـكتب غير ملخص شمس الدين الذهبي لذيل ابن الدبيثي ، فقـد طبعه الزميل الدكتور مصطفى جواد ؛ أما بقية الـكتب فلم يطبع منها شيء ، وقد بقيت منها مخطوطات متفرقة في مكتبات الشرق والغرب ، وقد فصل بروكلمان في كتابه العظيم تاريخ الأدب العربي مواضع وجود مخطوطاتها ، دون المصورات التي نقلت عن تلك المخطوطات .

لقد طبع تاريخ بغداد في أوائل الثلاثينـات ، ثم أعيد طبعه حديثاً مصوراً على الطبعة القديمة ؛ ويتـكون الـكتاب في كلتا الطبعتين من أربعة عشر جزءاً يضم كلاً منها حوالي أربعمائة صحيفة . وقد تـكلم في الجزء الأول عن حكم ارض بغداد والسواد ، ومناقب بغداد ، ونهري دجلة والفرات وبعض أخبار المنصور ، ثم خصص ٥٤ صحيفة (٦٦ ـ ١٢٠) لخطط بغداد ، ثم تـكلم عن المدائن ومن نزلها ، اما الباقي فقد خصصه كله لتراجم من عاش ببغـداد أو مرّ بها . وقد ذكر في ثنايا هـذه التراجم آلاف الاشارات الى خطط بغـداد وأنهارها وجوامعها وأسواقها ومقابرها ودروبها وقصورها مما له أهمية عظيمة في دراســة خطط بغداد . ولما كانت هــذه الاشـارات عرضية مفردة ، فاننا لا ندخلها ضمن نطاق بحثنا الحالي الذي نركزه على الاربع والخمسين صحيفة التي خصصها لدراسة خطط بغداد .

لقد أشرنا في أول مقالنا الى الأهمية الكبرى لدراسة تطور خطط بغـداد وتقرير الأوضاع التي كانت قائمة في كل زمن أو حقبة معينة ، وبينا أن دراسة هذا التطور يستلزم معرفة الزمن الذي تشير اليه المعلومات التي تذكرها المصادر ، وان من أهم وسائل تقرير هذا الزمن هو معرفة تاريخ المصدر الذي ننقل عنه معلوماتنا ، وان غرضنا الرئيسي من هذا المقال هو فحص التاريخ الذي وجدت فيه الخطط التي يصفها المصدر ؛ ومما يسهل تحقيق غرضنا هو معرفة مصادر الأخبار المتعلقة بالخطط . ومما يسهل تحقيق هذا الغرض ان معظم المؤرخين المسلمين القدماء ، ومنهم الطبري والخطيب ، كانوا يذكرون مصادر رواياتهم ، كما ان كثيراً من هذه المصادر كانت تشير الى الفترة التي يتناولها بحثهم .

غير ان معرفتنا أسماء الكتب التي اختصت أو اهتمت بدراسة خطط بغداد لا يكفي لتقرير مدى مساهمتها ، أو مدى مساهمة الخطيب في دراسة خطط بغداد وتاريخ تطورها ؛ لأن هذا لايتم إلا اذا وجدت الكتب نفسها كاملة ، وقد لاحظنا ان معظم هذه الكتب مفقود ، زال أثره أو لم تبق منه الا مقتطعات مهما كان طولها فهي لا تكفي لإصدار حكم قاطع على اهمية هذا المصدر . ثم ان الخطيب يذكر الرواة الذين نقل عنهم ، ولا يشير الى اسماء كتبهم التي نقل عنها هذه المعلومات . ومن المعلوم انه يذكر السند كاملاً في الغالب . وان رجال السند كلهم ، أو معظمهم أحياناً ، علماء مؤلفون ، فلا نعلم أحياناً أيهم المؤلف وأيهم الراوية . ثم أن الخطيب يورد أحياناً معلومات دون ذكر مصدرها ، كما انه ينقل معلومات مسندة تشبه المعلومات الموجودة في الكتب الأخرى المعتمدة ، ولكنه لايذكر انه أخذها من تلك المصادر . وقد ذكرنا من قبل اشاراته الى ما نقله عن طيفور ، أما في الصفحات التالية فسنقارن ما ذكره عن الخطط بما ورد في الكتب الرئيسة الثلاثة التي بحثت خطط بغداد في أدوارها الأولى ، وهي الطبري ، واليعقوبي ، وسهراب ، بما جاء في الخطيب ، ثم نحلل مساند الخطيب في بحثه عن خطط بغداد في القسم الذي أشـرنا الى ان البحث سيقتصر عليه .

لم يذكر الخطيب سهراب واليعقوبي ، وقد ذكر الطبري مرة واحدة (ص٦٦) غير ان مقارنة ما أورده بالمادة الموجودة في هـذه الكتب تبين انه نقل حرفياً ، تقريباً ، كل ما أورده سهراب عن أنهار بغداد ، غير ان الخطيب يذكر انه حدثه بها عبد الله بن محمد بن علي البغدادي بأطرابلس عن بعض متقـدمي العلماء وذكر أنهار بغداد فقال .. (١١٢) وجدير بالملاحظة ان هذا الفصل يطابق ما جاء في سهراب (١٢١ ـ ٣٢) وما جاء في مناقب بغداد المنسوب لابن الجوزي ، وينطبق بعضه على ما نقله ياقوت والراجح ان سهراب هو مصدر الجميع .

أما علاقة الخطيب بالطبري ، فلا بد أن نذكر انه بمقارنة ما كتبه الخطيب بما كتبه الطبري عن نشوء بغداد (٢٧٢ ـ ٢٨١ ؛ ٣٢٠ ـ ٣٢٧) نجد ان الطبري انفرد بتفاصيل عن تفتيش المنصور عن موضع لبناء بغـداد ، وخصائص موقعها (٢٧٢ ـ ٢٧٨) ومقام المنصور بالدير (٢٨١) ؛ وكذلك عن احتراق الساج عند بناء بغداد (٣٢٠) ومحاولة نقض إيوان كسرى (٣٢١) وبناء الطاقات (٣٢٦) . غير ان بقيـة المعلومات التي أوردها الطبري نقلها الخطيب بنصوص روي أغلبها عن وكيع . وهـذه المعلومات تشمل تولية أبي حنيفة الاشراف على عدّ اللبن (٢٧٩ ط = ٧١ خ) وقرية بني زرارة والشرفانية وقطيعة الربيع وبناورى (٢٨٠ ط = ٢١(٨١ ، ٨٨ خ) وأبواب بغداد (٣٢٢ ط = ٧٥ خ) واشراف الحجاج بن ارطاة على عمارة المسجد (٣٢٢ ط = ٧٠ خ) ووزن اللبن (٣٢٣ ط = ٧٢ ، ٧٠ خ) وركوب عيسى بن علي في المدينة المدورة (٣٢٤ ط = ٧٣ خ) وانتقاد البطريك خطط بغداد (٣٢٤ ط = ٨٠ خ) وثورة أهل الكرخ ونقلهم (٣٢٥ ط = ٧٩ خ) ونفقات البناء (٣٢٧ ط = ٦٥ خ) . ويتبين من كل هذا ان الخطيب استوعب المادة المهمة في الطبري ، ولكنه نقلها عن وكيع ، ولم يشر فيهـا الى الطبري بالرغم من تشابه المادة .

اما اليعقوبي فان الخطيب نقل عنه نصين (٦٦/٦٩ خ) دون ذكر مصدره ، ومع

ان كلامن اليعقوبي والخطيب متفقان في ذكر سكك بغداد وقطائعها واهميتها ، الا ان اليعقوبي اشمل بحثاً وادق تعبيراً ، اما الخطيب فقد ذكر بعض السكك والقطائع ، مع معلومات اوضح عن اصحابها ، كما ذكر اهمية بغداد وعظمها ولكن بافكار واسلوب يخالف ما جاء في اليعقوبي .

ان المعلومات التي اوردها الخطيب عن خطط بغداد فيها نصوص ذكر انها كانت منه او لم يذكر مصدرها ، ولكن اغلبيتها المطلقة جاءت مسندة ، اي انه اخذها من مصادر ذكرها . وتختلف المصادر في كثرة ما نقله عنها الخطيب وسنذكرها فيما يلي مرتبة حسب كثرة من نقل عنهم .

نقل الخطيب اغلبية المعلومات التي اوردها عن خطط بغداد في اوائل عهد تأسيسها عن محمد ابن خلف المعروف بالقاضي وكيع ؛ فقد نقل بسند عن وكيع مباشرة ما اورده عن استخدام ابي حنيفه في بناء بغداد (٧١) وابواب مدينة المنصور وسورها (٧٢ ـ ٧٣) وصفة المدينة (٧٦) وسوق البطيخ والاسواق (٨١) والطاقات والارباض (٨٣) ومربعة ابي العباس (٨٤) وبستان القس (٨٥) وبعض الاقطاعات (٨٥) وبعض الدور والسكك (٨٧) وبركة زلزل (٨٨) وقطيعة الربيع (٨٨) وطاقا الحراني (٩٠) والانهر والقطائع (٩١) والسويقات (٩٣) ومربعة الحرشي وقصر رخج (٩٤) والدروب (٩٦) وسوق الثلاثاء (٩٦) وحوض داود (٩٧) وسجن المنصور (١٠٧)

وروى الخطيب ايضاً احد عشر نصاً عن وكيع الذي نقلها بدوره عن راوية آخر فقد نقل الخطيب رواية وكيع عن ابن الاعرابي حول انحراف القبلة (١٠٧) وعن الحارث بن اسامة حول البطريق والاسواق (٨٠) وتاريخ اكمال الرصافة (٨٢) وعن ابي هيثم الفراش حول اقطاع المسيب (٨٥) وعن ابي زيد الخطيب عن جهار سوق المنار (٨٥) وعن يحيى بن الحسن بن عبدالخالق عن دار عباد (٩٦) وعن بعض الخطط (٧٠) وعن احمد ابن الحارث العتابي عن مصادر ابواب بغداد (٧٥) وعن احمد بن ابي طاهر عن مربعة العباس (٨٤) وعن مساحة بغداد (١٢٠) وبادوريا (٨٨) .

وقد نقل الخطيب رواية وكيع عن احمد بن الخليل بن مالك عن ابيه حول جسور بغداد (١١٥) وما رواه عن محمد بن ابي علي عن محمد بن عبدالمنعم بن ادريس عن هشام بن محمد (الكلبي) حول المخرم (٩٥) .

يبدو ان الخطيب نقل نصوصه من كتاب مدون الفه القاضي وكيع ، وانه كانت لهذا الكتاب منه روايتان بينهما بعض الاختلاف ، وان الخطيب اطلع على كلتا الروايتين لكنه فضل احداها فاكثر النقل عنها ، ولم يهمل الثانية بل نقل عنها نصين على الاقل .

والنسخة التي اعتمدها الخطيب ونقل عنها اكثر نصوصه عن القاضي وكيع هي رواية محمد بن علي الوراق واحمد بن علي المحتسب عن محمد بن جعفر النحوي عن الحسن بن محمد السكوني عن محمد بن خلف وكيع ، فاما الوراق فهو محمد بن علي بن محمد بن مخلد بن خداش بن عجلان المتوفى سنة ٤٢٢هـ وقد ذكر الخطيب اسمه بعدة صور هي: محمد بن علي الوراق ومحمد بن علي بن مخلد ، وابن مخلد . وقد ترجم له ترجمة قصيرة ذكر فيها « وكتبت عنه » (٣ / ٩٤ ـ ٥) .

اما احمد بن علي المحتسب فهو احمد بن علي بن الحسين بن محمد بن موسى المحتسب المعروف بابن التوزي (٣٦٤ ـ ٤٤٢هـ) وقد ذكره الخطيب مرة على احمد بن علي، ومرة على احمد بن علي المحتسب ، ومرة على « التوزي » . وترجم له ترجمة مقتضبة ذكر فيها انه « كثير الكتاب .. كتبت عنه وكان صدوقاً » (٤ / ٣٢٤)

لقد ذكرنا ان محمد بن علي الوراق واحمد بن علي المحتسب رويا عن محمد بن جعفر النحوي المعروف ايضاً بابن النجار (٣٠٣ ـ ٤٠٢ هـ) وقد الف محمد بن جعفر هذا كتاباً في تاريخ الكوفة نقل عنه ياقوت في ارشاد الاريب (٦٩/٣ ، ٢٤٥/٤ ، ١١٣/٥ ، ٤٦٨/٦)ومعجم البلدان(٨٤٨/٣ ؛ ٤ / ٥٦٨/ ٦٣٣) . وقد ترجم الخطيب لمحمد بن جعفر وذكر انه من اهل الكوفة ، وأنه قدم بغداد وحدث بها عن « الاشناني والحريري وابن مروان والمحاربي وابن دريد ونفطويه وابي روق الهمداني ومحمد بن يحي الصولي ،

وذكر أيضاً « حدثنا عنه محمد بن علي بن مخلد الوراق واحمد بن علي بن التوزي » .

اما الحسن بن محمد السكوني فلم يترجم له الخطيب ، وفعل ذلك القهبائي في مجمع الرجال (٢ / ١٤٨) والتستري في الرجال (٣ / ٢٣٣) والاردبيلي في جامع الرواة (٢٢٤) وكرروا القول بانه « الحسن بن محمد بن الحسن السكوني الكوفي ابو القاسم وروى عنه التلعكبري وسمع منه في داره بالكوفة سنة ٣٤٤ » . وقد ذكره كل من ابن المطهر في خلاصة الاقوال (٥٩٥) والحسن بن داود في الرجال (٤٤) الحسن بن الحسين السكوني ، ولا نعلم اذا كان المقصود هو الحسن بن محمد السكوني الراوية ام انهما شخصان مختلفان .

ويبدو ان الخطيب اعتبر السكوني راويها المعتمد فهو يقول « وذكر باب خراسان كان قد سقط من الكتاب فلم يذكره محمد بن جعفر عن السكوني وانما استدركناه من رواية غيره » (١٧٢/١) وواضح من هذا النص ان لمحمد بن خلف كتاباً مؤلفاً نقلت عنه النصوص .

وجاءت روايتان عن وكيع لم يذكر الخطيب سندها بل اكتفى بالقول « فيما بلغني عنه » (٧٢/١ ، ٧٣) وبالاضافة الى ذلك توجد ايضاً روايتان نقلها الخطيب عن طريق ابي عبدالله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع عن علي بن محمد بن السري الهمداني عن محمد بن خلف (١ / ٩١ ، ٩٤)

ولا نعلم من اي كتب وكيع نقل الخطيب النصوص المتعلقة بخطط بغداد ، لان النص الذي نقلناه فيما مر يدل على ان الخطيب نقل عن احد كتب وكيع ، لكنه لا يصرح اي كتب وكيع جاء منه النقل ، فهو بالرغم من كثرة ما نقل عن وكيع لم يذكر في ترجمته انه الف كتاباً عن بغداد ، بل يقتصر على القول انه « محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد ابو بكر الضبي القاضي المعروف بوكيع كان عالماً فاضلا عارفاً بالسير وايام الناس واخبارهم ، وله مصنفات كثيرة منها كتاب الطريق وكتاب الشريف ،

وكتاب عدد آى القرآن والاختلاف فيه » . ويروى ايضاً انه « كان من اهل القرآن والفقه والنحو له تصانيف كثيرة في اخبار القضاة، وفي عدد آى القرآن وكتاب الشريف ، والرمي والنضال ، والمكاييل والموازين ، وغير ذلك » (٥ / ٢٣٦ ـ ٧) ويذكر ابن النديم في الفهرست (ص ١٦٦) ان لوكيع « كتاب اخبار القضاة وتاريخهم واحكامهم ، كتاب الشريف يجري مجرى المعارف لابن قتيبة ، كتاب الانواء ، كتاب الغزو وأخباره ، كتاب المسافر ، كتاب الطريق ويعرف ايضاً بالنواحي ويحتوي على اخبار البلدان ومسالك الطرق ولم يتمه ، كتاب التصرف (لعله الصرف) والنقد والسكة كتاب البحث». وقد ذكر المسعودي في مقدمة مروج الذهب مؤلفات العرب في التاريخ ومنها « الكتاب الشريف تأليف ابي بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع القاضي في التاريخ وغيره... »

ويتبين من ذلك أن نصوص خطط بغداد ربما كانت من كتاب اخبـــار البلدان او الكتاب الشريف ، وكلاهما مفقود ولم يشر احد الى محتواهما او ينقل منهما .

والمصدر الرئيس الثاني من حيث الكمية ، الذي استقى منه الخطيب معلوماته عن خطط بغداد هو ابراهيم بن محمد بن عرفه الازدي المعروف بنفطويه (المتوفى سنة ٣٢٣ هـ)فقد اخذ عنه معلومات عن الطالع(٦٧) وثورة اهل الكرخ واسواقها(٧٩) وشارع القحاطبة (٨٥) والقطائع (٨٨ ، ٩٢) وقطيعة العباس (٩٥) ودار اسحق (٩٣) وقصر رخج (٩٤) ونهر المهدي والمعلى (٩٦) وحوض داود (٩٧) وقصور بغداد الشرقية (٩٨) .

لقد استمد الخطيب معلوماته من نفطويه عن طريق ابي القاسم الازهري عن احمد بن ابراهيم بن الحسن عن ابيه عن ابراهيم بن محمد بن عرفه ، دون ذكر اسم الكتاب الذي اخذ منه الخطيب هذه المعلومات عن ابن عرفه ، وجدير بالذكر ان الخطيب عند ما ترجم لابن عرفه هذا لم يذكر له غير كتابين هما «غريب القرآن » و« التاريخ »(٥/١٥٩ـ٦٠) اما ابن النديم فقد ذكر بالاضافة الى ذلك كتباً اخرى في القراءات والنحو واللغة والعقائد(١٢١)

وقد نقل ياقوت عن ابن عرفة في عشرة مواضع من معجم البلدان نصوصاً لا علاقـة

لها بخطط بغداد ولا اشارة الى الكتاب الذي نقلت منه . اما المسعودي فانه يعدد في مقدمة كتابه مروج الذهب المؤلفات العربية في التاريخ ويذكر من ضمنها « تاريخ ابي عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي النحوي المعروف بنفطويه فحشو من ملاحاة كتب الخاصة مملو من فوائد السادة ، وكان احسن اهل عصره تأليفاً واصلحهم تصنيفاً » ولعل الخطيب نقل عن نفطويه في خطط بغداد من هذا الكتاب المفقود الذي لا نعلم احداً نقل عنه غير الخطيب .

نقل الخطيب مباشرة عن هلال بن المحسن ستة نصوص عن خطط بغداد ، وهي تتعلق بدار الخلافة والتاج (٩٩) والمخرم (١٠٥) والمسجد (١٠٩) والجسور (١١٦) والسميريات (١١٧) والحمامات (١١٨) . ونقل بواسطة هلال عن ابي الحسن بن بشر بن علي بن عبيد النصراني حول الازدحام في بغداد (٧١) ومن ابي نصر خواشاذ خازن عضد الدولة حول دار الخلافة (١٠٠) ومن جماعة عارفين حول زيارة رسول ملك الروم (١٠٠) ومن ابن ام شيبان عن هذه الزيارة ايضاً (١٠٢)

لم يذكر الخطيب من اي كتب هلال نقل هذه النصوص . ومن المعلوم ان هلال بن المحسن الصابي (٣٥٩ ـ ٤٤٨) الف عدة كتب منها كتاب الاماثل والاعيان ، وكتاب التاريخ الذي اشتمل على الحوادث التي جرت بين سنتي ٣٦٠ ـ ٤٤٧ ، وكتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، وكتاب الرسائل ، ورسوم دار الخلافة ، والسياسة ، وغرر البلاغة ، والكتاب ، ومآثر اهله ؛ كما الف عن بغداد كتاباً نقل عنه ياقوت اربعة نصوص عن دار الخلافة (٢ / ٢٥٥) والانحلال الذي اصابها وتناقص الزروع فيما بين المحول والسندية (٢ / ٥٤٢) وفي درتا من نواحي الكوفة (٢ / ٥٦٥) وفي قصر ابن هبيرة (٤ / ١٢٣)

كما نقل عن هلال نصوصاً عن أبرقباذ (١ / ٩٠) و برذعة (١ / ٥٥٨) والمبارك (٤ / ٤٠٩) والرواية المنقولة عن دار الخلافة هي نفسها التي رواها الخطيب ، مما يرجح ان الخطيب اخذ رواياته عن كتاب التاريخ . وجدير بالذكر ان صاحب كتاب مناقب بغداد نقل

عن هلال بن المحسن نصاً يتعلق بما حدث من انحطاط في احوال بغداد في اواخر عهده (٣٣) ولما كان معظم ما نقله ياقوت من هلال نصوصاً تتعلق بانحطاط بغداد في اواخر حياة هلال الصابي، فانه يمكن القول ان هلال اهتم بدراسة « بغداد وذكر خرابها » كما يقول ياقوت (٤ / ١٢٣) ولعل هذا هو العنوان الاصلي لكتاب هلال. ومهما يكن الأمر فان النصوص المنقولة عن هلال تتعلق باحوال بغداد في القرن الرابع الهجري، فهي تصف الاحوال التي وقعت في زمن مؤلفها ولا تتطرق الى خطط بغداد واحوالها في اوائل عهد تأسيسها.

ونقل الخطيب عن ابراهيم بن مخلد القاضي عن اسماعيل بن علي الخطبي اربعة نصوص: واحد منها عن انشاء المهدي قصر السلام بعيساباذ (٩٧) والثلاثة الاخرى عن توسيع جامع المنصور (١٠٨) وعن سقوط راس القبة الخضراء (٧٣)

لقد كان ابراهيم بن مخلد (٣٢٥ - ٤١٠ هـ) من شيوخ الخطيب وقد ترجم له في الجزء السادس وقال « كتبت عنه » اما اسماعيل بن علي الخطبي (٢٦٩ - ٣٥٠ هـ) فقد ترجم له في الجزء السادس (ص ٢ - ٣ - ٥) وذكر انه « صنف تاريخاً كبيراً على السنين » وقد ذكر ابن النديم هذا الكتاب (٢٤٣) ويبدو ان النقل جاء من هذا الكتاب.

ونقل الخطيب بسند عن محمد بن الحسين بن الفضل القطان عن عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي عن يعقوب بن سفيان اربعة نصوص عن تاريخ انتهاء البناء (٦٧) وتاريخ الانتقال الى الكرخ (٧٩) ومسجد الرصافة زمن المهدي (١٠٩) وبناء الخلد ونصب الجسر (١١٥)

ومحمد بن الحسين بن الفضل القطان ذكره الخطيب وقال انه توفي سنة ٣٠٦ هـ وانه روى عن عمرو بن الفلاس كتاب التاريخ (٢/ ٢٣٢) ولما كان الفلاس محدثاً بصرياً مشهوراً (١٢ / ٢٠٧) فالراجح ان المعلومات الواردة في كتاب الخطيب لم تؤخذ من هذا الكتاب.

اما عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي (٢٥٨ - ٣٤٧ هـ) فقد ترجم له الخطيب

وذكر انه حدّث عن عدد من العلماء منهم يعقوب بن سفيان النسوي « وحمل عنه من علوم الادب كتب عدة صنفها منها تفسير كتاب الجرمي ، ومنها كتابه في النحو الذي يدعى الارشاد ومنها كتابه في الهجاء وهو من احسن كتبه .. وحدثنا عنه ابو الحسن بن رزقويه وابو الحسين بن الفضل وابو علي بن شاذان .. سألت البرقاني عن ابن درستويه فقال ضعفوه لانه لما روى كتاب التاريخ عن يعقوب بن سفيان انكروا عليه ذلك وقالوا له انما حدث يعقوب بهذا الكتاب قديماً فمتى سمعه ؟ وفي هذا القول نظر لان جعفر بن درستويه من كبار المحدثين وفهمائهم وعنده عن علي بن المديني وطبقته فلا يستنكر ان يكون بكّر بابنه في السماع عن يعقوب بن سفيان وغيره مع ان ابا القاسم الازهري قد حدثني قال رأيت اصل كتاب ابن درستويه بتاريخ يعقوب بن سفيان لما بيع من ميراث ابن الأبنوس فرأيته اصلا حسناً ووجدت سماعه صحيحاً »(٩ / ٤٢٨) وقد ذكر له ابن النديم عدداً كبيراً من المؤلفات ليس فيها كتاب في التاريخ (٩٢ ـ ٤)

ولم يترجم الخطيب ليعقوب بن سفيان ، كما ان صاحب لسان الميزان ترجم له ترجمة غامضة ذكر فيها رواته (٦ / ٣٠٧)

ويتبين مما ذكره الخطيب من ترجمة ابن درستويه ان المعلومات التي نقلها مستمدة من كتاب التاريخ .

وقد نقل الخطيب عن ابي عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزبان ثلاثة نصوص احدها عن عبدالباقي بن قانع حول تسمية سويقة ابي الورد (٨٧) والثانية عن محمد بن يحيي عن محمد بن موسى المنجم حول ارتفاع مدينة بغداد (٨٢) والثالثة نقلها المرزباني عن كتاب بخط عبدالله بن ابي سعد الوراق عن عبدالله بن محمد بن عياش التميمي عن جده عياش ، وهي عن حرس ابواب بغداد (٧٠)

وترجم الخطيب للمرزباني (٢٩٦ ـ ٣٨٤ هـ) وذكر انه « حدث عن ابي القاسم البغوي وابي حامد محمد بن هارون الحضرمي واحمد بن سليمان الطوسي وابي بكر بن دريد وابي

عبد الله نفطويه وابى بكر الانباري ومن في طبقتهم بعــدهم ؛ حدثنا عنه القاضيان ابو عبد الله الصيمري وابو القاسم التنوخي .. كان صاحب اخبار ورواية للادب وصنف كتباً كثيرة في اخبار الشعراء المتقدمين والمحدثين على طبقاتهم وكتباً فى الغزل والنوادر وغير ذلك ، وكان حسن الترتيب لما يجمعه ، غير أن اكثر كتبه لم تكن سماعاً له وكان يرويها اجازة (٣/١٣٥ـ٦) .

وقدخصص له ابن النديم ثلاث صفحات ، ووصفهبانه « آخر من رأينا من الاخباريين المصنفين ، راوية صادق اللهجة واسع المعرفة بالروايات » ويذكر انه عاش ما بين٢٩٧ـ٣٧٨ وعدد له كتباً كثيرة فى الشعراء وغيرها . ولا نعلم من اي الكتب اخذ الخطيب ما نقله عنه من نصوص عن بغداد .

نقل الخطيب عن عبيد الله بن احمد بن عثمان الصيرفى نصين ، احدهما نقله عبيد الله عن الحسن بن علي بن عمر الحافظ عن ابن دريد حول المخرم (٩٥) والثاني نقله عبيد الله عن محمد بن عبد الله بن ايوب عن ابى العباس احمد بن عبد الله بن عمار الثقفي عن أبي ايوب ، وهو حول هدم المنصور دور الصحابة (٩٥) .

وقـــد ترجم الخطيب لعبيد الله فذكر انه عاش بين ٣٥٥ ـ ٤٣٥ ﻫ وانه روى عن كثيرين ، وكان احد المكثرين من الحديث كتابة وسماعاً ومن المعنيين به والجامعين له (١٠/٣٨٥) ولكنه لم يذكر له كتاباً .

نقل الخطيب روايات مفردة عن خطط بغداد الاولى دون ان نعرف مؤلفات اصحابها وهى :

(١) ابو عمر الحسن بن عثمان بن احمد الفلو الواعظ عن جعفر بن محمد بن احمـــد بن الحكم الواسطي عن الفضل العباس بن احمد الحداد عن احمد البربري : وهى عن مساحة بغداد ونفقاتها (٦٩) .

(٢) أبو الفضل ـ أبو الطيب البزاز ـ خاله قيم بدر غلام المعتضد: مساحة بغداد (٦٩).

(٣) محمد بن اسحق البغوي ـ رباح البناء: ابعاد المدينة المدورة (٧١).

(٤) الحسين بن محمد المؤدب ـ ابراهيم بن علي الشطي ـ ابو اسحق الهجيمي ـ محمد بن القاسم ـ الربيع! نفق بغداد (٧٧) وانتقاء الرومي لبغداد ٧٨.

وقد اورد الخطيب في الصفحات التي خصصها للخطط تسعة نصوص لا علاقة لمحتواها بخطط بغداد، وستة نصوص فيها شعر؛ ورواتها وهم:

١ ـ ابو عبد الله احمد بن محمد بن عبد الله الكاتب عن ابن ميثم عن احمد بن عبيد الله ابن عمار عن محمد بن داود الجراح (لم يمت فيها خليفة ٦٨).

٢ ـ ابو الحسن محمد بن رزق البزاز ـ جعفر الخلدي ـ الفضل بن محمد الدقاق ـ داود ابن جعفر بن شبيب بن رستم البخاري (الاسعار زمن ابي جعفر ٧٠).

٣ ـ الحسن بن ابي بكر ـ عثمان بن احمد الدقاق ـ الحسن بن سلام السواق ـ الفضل ابن دكين (الاسعار في الكوفة ٧٠).

٤ ـ الجاحظ (أحكام بناء بغداد ٧٧).

٥ ـ الحسن بن ابي طالب ـ ابو عمر محمد بن العباس الخزاز ـ ابو عبد الله الناقد ـ محمد بن غالب ـ عبد الرحمن بن يونس ـ الواقدي (ذم الكرخ ٨١).

٦ ـ محمد بن الحسن الاهوازي ـ ابو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ـ ابو العباس بن عمار ـ ابن ابي سعد احمد بن كلثوم (نسب ابي دلامة ٨٦).

٧ ـ ابو الفضل عيسى بن احمد بن عثمان الهمداني ـ ابو الحسن بن رزقويه ـ القاضي الجعابي (مرور على بغداد ٩٠).

٨ ـ ابو عبد الله الحسين بن علي الصيمري ـ احمد بن محمد بن علي الصيرفي ـ القاضي الجعابي (مرور علي ببغداد ٩٠).

٩ — الوزير ابو القاسم علي بن الحسن بن المسلمة ـ الخليفة القائم ـ الخليفة القادر ـ زوجة المقتدر (زيارة رسول ملك الروم بغداد ١٠١) .

١٠ — محمد بن احمد بن مهدي الاسكاف (موت هيلانة ٩٩) .

اما النصوص المقصورة على رواية أبيات شعر تتعلق ببغداد فرواتها هم :

(١) الحسن بن بكر بن شاذان ـ أبيه ـ أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة (٨١) .

(٢) الحسن بن أبي بكر ـ أحمد بن كامل القاضي ـ محمد بن موسى ـ محمد بن أبي السرى ـ الهيثم بن عدي (٨٢) .

(٣) أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله المعدل ـ عثمان بن أحمد الدقاق ـ محمد بن أحمد ابن البراء ـ علي بن يقطين (٨٢) .

(٤) علي بن محمد بن عبد الله المعدل ـ الحسين بن صفوان البردعي ـ أبو بكر عبد الله ابن محمد بن أبي الدنيا (٩٢) .

(٥) محمد بن أحمد بن رزق ـ عثمان بن أحمد الدقاق ـ محمد بن أحمد بن البراء ـ علي بن أبي مريم (٨٦) .

(٦) أحمد بن أبي علي الاصبهاني ـ أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد السكري ـ محمد بن يحيى الصولي ـ الغلابي ـ محمد بن عبد الرحمن .

أما النصوص التي أورد فيها الخطيب معلومات من عنده فهي قليلة واكثرها تعليقات على مروياته من المصادر الأخرى وتشمل :

(١) تعليق على قول أحمد بن حنبل ان بغداد من الصراة الى باب التبن (٧١) وفيه معلومات عن انحطاط بغداد في زمنه .

(٢) تسمية قصر المنصور الخلد وموضعه واندراسه في زمن المؤلف (٧٥) .

(٣) القنوات التي مدها المنصور في مدينته وفي الكرخ واندثارها في زمن المؤلف (٧٩) .

(٤) عمارة طغرلبك دار المملكة (١٠٦) .

(٥) تعليقات قصيرة على تسميات بعض المحال وهي عسكر المهدي (٨٣) شيرويه (٨٤) العباسية (٩٥) وكذلك مناقشة بعض الآراء عن استهلاك بغداد لاسويق في زمنه (١١٩) .

(٦) اطراء بغداد (١١٩) .

(٧) مساجد الشيعة ببغداد (٨١ ، ٩٠).

ويتبين من هذا ان النصوص التي أضافها الخطيب من عنده قليلة جداً نسبياً ، وهي تعكس انحطاط بغداد في زمنه ، فهي تكمل نصوص هلال بن المحسن الصابي ؛ كما ان هذه النصوص توضح اتجاهه العقائدي .

أما بقية المادة التي أوردها فقد اعتمد فيها على رواة متعددين أغلبهم عاشوا في القرن الرابع الهجري ، أي في الفترة التي وصلت فيها بغداد الى أوج العمران ؛ ولم يذكر الخطيب كتب الرواة الذين اعتمد عليهم ، ونسبة ما نقل مما أهمل ، ومبرره في نقل بعض النصوص وإهمال البعض الآخر كما ان ذكره السند كاملاً يسبب ارباك الباحث الذي يريد معرفة المصدر المسؤول عن الخبر . ومن حيث العموم فان أغلب ما روى يتعلق بوضع بغداد أيام تأسيسها أما النصوص التي تمثل الفترة المتأخرة فهي قليلة نسبياً ، ولا يستطيع المرء أن يحصل على فكرة واضحة مما كتبه عن تطور خطط بغداد بصورة شاملة .

لم يعتمد الخطيب على الكتب المشهورة عندنا كالطبري واليعقوبي ، فلم يشر إلىالاول إلا مرة واحدة (٦٦) أما الثاني فقد نقل عنه نصين دون أن يشير إلى اسمه . وعلى كل فان الخطيب استوعب المادة المهمة الموجودة في الطبري ، كما استوعب ما أورده سهراب عن أنهار بغداد ، ولكنه لم يستوعب ما كتبه اليعقوبي عنها ، هذا فضلاً عن أنه أورد نصوصاً من كتب مفقودة لها أهمية كبيرة لأنها غير موجودة في الكتب المتداولة عندنا . وبهذا يكتسب الخطيب أهميته الخاصة من حيث تعريفنا بعلماء أو كتب بحثت خطط بغداد،

ونقله عنها نصوصاً نموذجية لها قيمتها الخاصة في دراسة خطط بغداد . وان تشابه المادة في بعض ما ورد مع المادة الموجودة في بعض الكتب كالطبري وابن سرابيون يفيد في تدقيق طبع هذه الكتب وتصحيحها ، اما المادة الجديدة فتبقى ذات أهمية خاصة لدراسة خطط بغداد تكمل المادة التي قدمها اليعقوبي وخاصة عن وضع المدينة في أوائل عهد تاسيسها .

* * *

خصص ابن الفقيه الهمداني لبغداد وخططها اربعين صحيفة (٢٩ ـ ٦٩) من كتابه «البلدان» ، وهذه الصفحات موجودة في مخطوطة محفوظة بمشهد الرضا ويفتقدها المختصر المطبوع من الكتاب . وقد بحث الهمداني اشتقاق اسم بغداد وتأسيسها وخططها وخصائصها وسكانها بالتفصيل ، وقد ذكر مصادره عن بعض ما نقل ، ولكنه أغفل مصادر كثير مما نقل . غير اننا إذا قارنا ما ذكره بما ورد في الكتب الاخرى نستطيع معرفة كثير من المصادر التي اغفلها ونتمكن من تقييم المعلومات التي أوردها عن بغداد . وسنصنف فيما يلي مادته تبعاً لمصادرها وليس تبعاً لتسلسل كتابتها في المخطوطة .

١ — لقد أشار بصراحة الى نقله عن احمد بن أبي طاهر نصاً عن مساحة بغداد ، وعن يزدجرد ابن مهمندار في ذم مصر ومقارنتها ببغداد ، وعن أحمد بن الطيب السرخسي عن سعة بغداد وفطنة أهلها .

٢ — وأورد في القسم الاخير من كلامه عن بغداد صفحات كثيرة لم يشر إلى مصدره وفيها معلومات لم نستطع معرفة أصولها ، وهي تتناول وصف بغداد وخصائصها . وكذلك اشعار في مدح بغداد والشوق اليها ؛ مع ذكر أسماء بعض ناظميها ومنهم الحسن ابن أبي الرعد ، وهرون الرشيد ، وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر . وقد ذكر هذه المعلومات بعد النص المنقول عن ابن أبي طاهر ، مما قد يدل على انه نقلها منه .

كما أورد كلاماً طويلاً عن مقارنة بغداد بمصر ، وهذا الكلام مذكور بعد النص المنقول عن يزدجرد بن مهمندار مما قد يدل على انه أخذها عن يزدجرد .

وبحث أيضاً عن تجارة بغداد مع الشرق الأقصى عن طريق الأبله ، ومع الموصل ، ومع خراسان وأهمية موقعها كعاصمة للدولة .

كما بحث في تقدير عدد سكانها مستنبطاً ذلك من طول سورها ، وحماماتها ، وجوامعها، وعدد بيوتها ، وما تستهلكه من دهن للاضاءة ، ومن الفواكه والمخضرات ، والمواد العطارية، واللحوم،والحنطة ، وجباية الجوالي ومسكوكات الدراهم . ومعظم هذه المواضيع بحثها يزدجرد بن مهمندار على ما يذكر صاحب كشف الظنون (٢٨٨/١) كما أشرنا الى ذلك من قبل . ولعل الهمداني نقلها من يزدجرد رغم انه ينص على ذلك صراحة .

٣ — ان مقداراً كبيراً من المعلومات التي أوردها الهمداني عن بغداد يمكن معرفة أصولها عند مقارنتها بما ورد في المصادر الاخرى ، . وهذه الأصول هي :

١ — البلاذري : فقد نقل الهمداني كل ما جاء في باب « أمر مدينة السلام » من فتوح البلدان غير ان الهمداني قسم هذه المادة قسمين ، وضع القسم الأول منها (المذكور في ص ٢٩٤ من البلاذري) في أوائل مقاله ، ووضع الباقي (المذكور في ص ٢٩٤ — ٢٩٧ من البلاذري) في أواخر مقاله منسوباً الى ابن الكلبي ، الذي يصرح البلاذري بانه اقتبس هذه المعلومات منه ؛ ويبدو ان الهمداني أخذ من فتوح البلدان أيضاً خبر إغارة المثنى على سوق بغداد .

ومع ان الهمداني نقل حرفياً عن البلاذري ، إلا أنه أغفل ما ذكره البلاذري عن الصالحية ، واقطاع كل من سليمان بن مجالد ، والمهلهل ، وسبيل ، كما ان يختلف عن النسخة المتداولة من البلاذري في قراءة بعض الكلمات .

ب — نصوص محمد بن خلف وكيع التي أوردها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد .

١ — نقل الهمداني ما رواه الخطيب عن محمد بن خلف وكيع فيما يتعلق بخطط الجانب الشرقي من بغداد ؛ وقد حافظ النقل على المادة المذكورة وترتيب عرضها . غير انه حذف ما ذكره وكيع عن قنطرة البردان ، وشارع عبد الصمد ، وخان أبي زياد ؛ وأورد معلومات

اضافية لم يذكرها الخطيب فيما رواه عن وكيع عن شارع الميدان ، ودار الربيع ، وقصر الطين ، وخان وردان ، وبعض أنهار شرقي بغداد ، وتفاصيل اضافية عن طاق اسماء ، وقصر أم حبيب ، وسوق العطش ، ودارو ج ؛ كما أورد عن بيع السويق ببغداد معلومات تختلف عما ذكره الخطيب .

٢ — نقل الهمداني كثيراً من المعلومات التي أوردها الخطيب عن وكيع في فصله عن « محال مدينة السلام وطاقاتها .. » . وكثيراً ما كان النقل حرفياً ، غير ان الهمداني لم يتبع نفس التسلسل الذي اتبعه وكيع ، بل قدم بعض النصوص وأخر بعضها ، ولكنه على تسلسل ذكر بعض الاماكن .

كما ان الهمداني لم يذكر ما رواه الخطيب عن وكيع حول ربض أبي أيوب الخوزي ومربعة أبي قرة ، وربض ابراهيم بن حميد ، وعبد الملك بن حميد ، وحميد بن ابي الحارث وعمرو بن المهلب ، وابراهيم بن عثمان بن نهيك ، ومنارة حميد الطوسي ، وكثير من المعلومات عن دور الصحابة ، وأبي دلامة ، ودار عمرو بن مسعده ، ودار صالح المسكين ، وأبي يزيد الشروي ، وسكة مهلهل ، وصحراء أبي السرى ، وقطيعة اسحق بن الازرق الشروي ، وقطيعة الربيع ، وقطيعة الانصار ، وقطيعة الكلاب ، وسكك المدينة المدورة ، والزبيدية ، ودور بني نهيك ، ودرب جميل ، ومسجد الانباريين ، والياسرية ، وقطيعة خزيمة ، ودار اسحق بن ابراهيم . وكذلك عن ايوان المنصور ، والقبة الخضراء ، ومنفذ المنصور السري ، والموكلون بالأبواب ؛ كما قدم الخطيب تفاصيل أوفى عن الطاقات .

وذكر الهمداني معلومات غير موجودة في الخطيب عن ربض الحربية ، والمراوزة ، وعتيك بن هلال ، وابي العباس الطوسي ، ودار البطيخ ، وقطيعة عقبة بن جعفر ، وقصر الوضاح ، والمسجد الكبير ، والقرار ، ومربعة الفضل بن سليمان ، ودرب البخارية ، وربض عمرو بن اسفنديار ، وربض رشيد ، وربض عبد بن حميد ، وقطائع الموالى ، والسرخسية ،

وطاقات الراوندي، ودار عمارة، وربض ابي حنيفة، وقصر هانىء بن بشير، ودويرة مبارك وربض الخوارزمية، وربض سعيد بن حميد بن دعلج، ومنارة الحكم بن ميمون، وبعض التفاصيل عن العباسية، والنوبختية، ودرب الناووس.

٣ — ذكر الهمداني في اول فصله عن بغداد اصل تسميتها، وبحث المنصور عن مكان لانشاء عاصمته، وموقف اهل الكوفة وصفة المدينة المدورة، وابوابها واسوارها، وابعادها، ومخططها، وحجم اللبن، ومحاولة هدم القصر الابيض، وقصة البطريق والاسواق، وعيوب المدينة المدورة، وبناء الرصافة، وتكاليف البناء، وطالع النجوم، والموكلون بالبناء، والقرى التي كانت في موقع بغداد وهي المباركة والترابية، والخطابية وقرية بنو زراري والوردانية والشرفانية وماورى، وموضع بركة زلزل، واقطاع الربيع وورثالا، ونهر طابق، وبراثا، ونهر كرخايا.

ان هذه المعلومات وردت في الطبري، وفي ما رواه الخطيب عن وكيع بنفس التسلسل تقريباً. ومع ان وكيع نقل عن شيوخ الطبري، الا انه لم يشر الى نقله عن الطبري؛ فاذا اعتبرنا ان الطبري ووكيع مصدران مستقلان، فمن الصعب ان نجزم في ايهما اخذ الهمداني.

لقد ذكر الهمداني بحث المنصور عن مكان لعاصمته، وافساد اهل الكوفة جند المنصور، ونصيحة خالد البرمكي للمنصور الا يهدم القصر الابيض، وتمزق طيلسان الدهقان والخطابية. وهي معلومات ذكرها الطبري ولم يذكرها الخطيب فيما نقل عن وكيع غير ان الهمداني ذكر اشتقاق اسم بغداد، وورثالا، وبراثا وكرخايا والترابية كما وردت عند الخطيب وهي غير مذكورة في الطبري؛

اما المعلومات التي عن خصائص المدينة المدورة، وابعادها، وابوابها وواضع تخطيط المسجد الجامع، ووزن اللبن، وقصر البطريق والاسواق وعيوب المدينة المدورة وانشاء الكرخ، وانشاء الرصافة، والتكاليف، والقرى التي كانت في موقع بغداد، ونهر طابق، فهي

موجودة في كلا الكتابين الامر الذي يجعل البت صعباً في تقرير اي المصدرين اعتمده الهمداني.

ومن حيث العموم فان الهمداني اورد كافة ما ذكره الطبري تقريباً ، مع حذف بعض الروايات المتعددة عن الامر الواحد ، وكذلك خبر انحراف قبلة جامع المنصور وسير عيسى بن علي محمولاً ، وثورة ابي زكريا المحتسب، وطريق المنصور السرى ، وتفاصيل تكاليف البناء .

كما ان الهمداني اورد المعلومات التي اوردها الخطيب (وقد ذكر الخطيب بعض القرى التي كانت في موضع بغداد في ص ٢٢) ولكنه اضاف خبر تجار الصين وان اسم مدينة السلام هو الذي يذكر في السكة والاشربة والغلات ، كما اختصر بعض الروايات المتكررة عن بغداد . ولما كان وصف الخطيب خطط بغداد مأخوذاً من وكيع فالراجح ان الهمداني نقل عن وكيع الذي ربما اعتمد بدوره على الطبري وادخل مادته فى بحثه ثم اضاف اليه .

ونختتم مقالنا هذا بالاشارة الى ما كتبه ابن عقيل عن بغداد في عصره الذي يعقب الخطيب . ان نص ابن عقيل نقله صاحب كتاب مناقب بغداد الذي نشره الاستاذ بهجت الاثري . وقد ترجم هذا النص وعلق عليه وحلله الاستاذ جورج مقدسي فى مقالين نشرهما في مجلة Arabica سنة ١٩٦٣ .

صالح أحمد العلي